تفسير الأحلام من ناحية إيمانية: ابن سيرين محملا

Dreams interpretation from a faith side: Ibn sirin as a mode

عبد الوهاب بن البشير خطاط *

المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس، جامعة المنار

abdelwahebkattat@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/06/30 تاريخ القبول: 2021/09/27 تاريخ النشر: 2021/10/15

ملخص:

يعد الحلم من المسائل الملغزة. ويقتضي تفسير الحلم معبرا، أي لا يستطيع الرائي أن يفسر الحلم لوحده، وأن يكون المفسر عارفا بذات الحالم أكثر من الحالم ذاته وإلا فإنه لن يستطيع تفسير الحلم، بمعنى أن الذات الحالمة في حاجة للآخر لفهمها وفهم أحلامها، ذلك ما جعل تفسير الأحلام يدخل ضمن طائلة علم النفس. وليست كل الأحلام قابلة للتفسير فهناك أحلام صادقة وهناك أحلام كاذبة. ويشترط على المفسر ذاته أن يلتزم بعدة شروط وإلا فإنه لن يستطيع تفسير الأحلام، وبالمداومة والتعود يصبح قادرا على تفسير الحلم أي تصبح لديه موهبة مكتسبة، هذا إذا غابت عنه الموهبة الإلهية (الفراسة).

كلمات مفتاحية: معبر، أحلام صادقة، أحلام كاذبة، فراسة...

Abstract:

The dream was one of the mysterious issues. Also, the dream interpretation requires an iterpreter of dreams, meaning that the dreamer cannot interpret her/his dream alone. Hawever the dream requires an interpreter and that the interpreter knows the same dream more than the dreamer itslf, otherwise he will not be able to interpret the dream. So, the dreamer needs another to understand him and understand its dreams, for that is made the interpretation of dreams. It falls within the scope of psycholgy with Freud. Not all dreams can be interpret. The interpreter himself is required to abide several conditions. With persistence he becomes able to interpret the dream, that is, he becomes an acquied talent, if the divine gift (physiognomy) is absent from him.

Keywords:, Interpreter, false dreams, true dreams, physiognomy.

* المؤلف المرسل.

مقدمة

تثير ظاهرة الحلم وتفسيرها جدلا لا ينتهي، فهي مجال إلغاز يزعج العقل ويغريه في آن بخوض مغامرة التعبير أو التأويل. ويبدو ذلك واضح من خلال انتقال مهمة تفسير الحلم وتعبيره ودراسته بين منجمين ومشعوذين وبين أطباء وعلماء نفس، ولاهوتيين وبين أصحاب اختصاص أو أصحاب مهمة إلى متطفلين على مهنة، فمنهم من يرى بأن دلالة الحلم هي دلالة تنبؤية وذلك من وجهة نظر إيمانية أو لاهوتية أمثال "النابلسي" و"شهاب الدين المقدسي" و"ابن شاهين" وعلى وجه الخصوص "ابن سيرين". أما من وجهة نظر علماء النفس التقليدي فقد اعتبروا أن الحلم مجرد تداع نفسي لا رقابة عليه وهو غير منظم. في حين أن رجال علم النفس المعاصر أمثال "سقموند فرويد" فهم يرون أن الحلم هو استثارة للماضي... وأمام هذا التعارض والاختلاف فإن المساءلة لا تنقطع حول ظاهرة الحلم ومهمة اختراق حجب غموضها أو حل لغزها، ومدى إمكانية أن يكون الحلم صحيحا أو خاطئا، ومدى القدرة على تعبير الحلم إذا كان ذا صحة، باعتبار أن طريقة تعبيره تتطلب مهارة معينة وشروطا وجب أن تتوفر قصد الوصول إلى الحقيقة التي يعبر عنها الحلم وعلى أقل تقدير الاقتراب من الحقيقة التي يحيل عليها الحلم أو الرؤيا.

وبزعم منا توضيح بعض الإشكاليات المتعلقة بهذه الظاهرة (ظاهرة الحلم أو الرؤيا...)، فإننا سنتناول ما يسمى بتفسير الأحلام من ناحية إيمانية معتمدين في ذلك كتاب "تفسير الأحلام" وهو منسوب إلى "ابن سيرين" كما يقرّ عديد المحققين أمثال "عبد الأمير مهنا (محقق هذا الكتاب). وسنركز في عملنا على مقدمتي الكتاب تاركين المتن إلى عمل آخر.

يرسم لنا "ابن سير" في هاتين المقدمتين الشروط التي وجب توفرها أو المتطلبات قصد التمكن من تعبير الرؤيا أو الحلم مبينا لنا جملة من المناهج النظرية أو القواعد لتفسير الأحلام. أما الشروط فهي متعلقة بالمعبر من جهة أو المفسر وبالحلم ذاته من جهة أخرى.

فالمعبر وجب أن يكون مختلفا عن الأشخاص العاديين أي أن تتوفر فيه جملة من الشروط التي لا تتوفر في الإنسان العادي، ذلك ما يمكنه من تفسير الأحلام بوصفه صاحب مهنة أو صناعة أو موهبة. أما ما يتعلق بالحلم فمن الضروري أن يكون التعبير تعبيرا للأحلام الصادقة وليست الكاذبة أو الأحلام التي لا يمكن تعبيرها بما هي غامضة عن المعبر أو لأي سبب آخر.

ولكن حتى وإن اكتفينا بالمقدمتين فعلينا أن نحترس من القول بهذه المناهج باعتبار وجود دلائل وبراهين تجعلنا نقول بالحدس التأويلي لدى "ابن سيرين" فهو ليس بحاجة إلى المناهج التي نص عليها في المقدمتين، باعتبار أن الحدس التأويلي هو استعداد نفسي ولا يحتاج إلى قواعد ومناهج.

وبناء على ما وصلنا إليه سنقسم عملنا كالآتي:

أما اللحظة الأولى سنرصد من خلالها العناصر أو الأركان المساعدة على تفسير الأحلام.

وينضوي تحت هذا العنوان عنوانين هما:
ما يجب أن يكون عليه المعبر ليصبح متملكا للقدرة على تفسير الأحلام.
ثم الأحلام القابلة للتعبير بما هي أحلام صادقة.
أما اللحظة الثانية فهي تحمل عنوان المناهج النظرية التي رسمها "ابن سيرين" في مقدمتي الكتاب؟
وأما اللحظة الثالثة فهي ردّ عن اللحظة الثانية ونقصد أن تفسير الأحلام عند "ابن سيرين" قائم على الفراسة.

1. العناصر المساعدة على تعبير الأحلام.

لقد عرف مفهوم "المحيط" تطورا من المدارس الجغرافية وصولا إلى المدارس الإيكولوجية المعاصرة. بمعنى أن التداول الحالي لمفهوم "المحيط" لم يكن ليحيل إلى ما أحال إليه دون أن يمر بحقول معرفية بدءا بالمجال الجغرافي وصولا إلى الإيكووجيا. وبناء عليه فإن هذا الرهان هو الذي سيقودنا في إطار هذا الغرض إلى تناول هذا المفهوم من خلال طرح السياقات المختلفة التي استعمل فيها هذا المفهوم والإشكاليات التي عرفها هذا المفهوم علينا أولا أن نعود إلى أصله الاشتقاقي والمعاني التي حملها هذا المفهوم.

1.1المعبر أو المفسر:

بادئ ذي بدء علينا أن نحدد كلمة معبر، إذ هي لفظ مشتق من عبّرَ يعبّرُ تعبيرا والمعبّرُ من يقوم بهذا الفعل (عبّر). وهو أيضا في علاقة بفعل عَبَرَ إذ نقول عبر فلان النهر أي انتقل من الضفة التي هو فيها إلى الضفة المقابلة أي إلى ما وراء النهر.
وبالتالي نقول عبّر فلان شيئا ما أي ذهب إلى ما يعبّر عنه هذا الشيء أي تجاوز الظاهر إلى الباطن وكذلك فعل عبر.
وعموما فنحن نقول عبّر فلان الحلم أو عَبَرَ الحلم فكلاهما يكون التعبير فيهما هو الذهاب إلى ما وراء الحلم أي الحقيقة التي يشير إليها الحلم أو يحيل عليها.
ونقول في هذا المعنى المتعلق بالحلم أيضا، فسّر أو أوّل أي الذهاب إلى ما يعنيه الحلم.
ولذلك ليس هناك إشكال في استعمالنا لأي لفظ من هذه الألفاظ: التفسير أو التأويل أو التعبير، لأن المعنى عند "ابن سيرين" هو نفسه إذ يستعمل في كل مرة إحدى الألفاظ، فهو في مرّة يستعمل لفظ التأويل بقوله (ابن سيرين، 1990): "وأن تأويلها قد يكون مرّة لفظ الاسم..." (ص. 16). أو "فأما التأويل بالأسماء" (ص. 16).
وعندما يستعمل لفظ التفسير يقول "وأما التفسير بالمعنى..." (ص. 16).

ومرّة يستعمل تعبير بقوله: "وقد تعبّر الرؤيا بالوقت" (ص. 16).

2.1: ما يمكن أن يكون عليه المعبر

يشترط في العابر أو المعبر حسب "ابن سيرين" أن يكون قد نظر في الكتاب حتى عبّره أي اعتبر بعضه ببعض حتى فهمه. أي فهم معانيه، لأن في الإطلاع على المعاني التي يحيل عليها الكتاب (القرآن) وسائر الأمثال المتوفرة فيه يساعده على تفسير الحلم بالاعتماد على هذه الأمثال والمعاني والحكم ومن هذه الأمثال نذكر مثلا قوله في صفات النساء "بيض مكنون" (سورة الصافات: الآية 49). وفي المنافقين "كأنهم خشب مسندة" (المنافقون، الآية 4) وفي الحبل "اعتصموا بحبل الله" (آل عمران، الآية 103). وقوله في الفتح "إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح" (سورة الأنفال، الآية 19).

ولا تقتصر مميزات المعبر على فهم معاني القرآن فحسب بل تتعداه إلى معرفة أمثال الأنبياء والرسل والحكماء، لأن الأنبياء موحى لهم من الله أم الحكماء فهم الذين يعرفون ما يمكن أن يعلّم وما يجب أن يفعل ومعرفة الحقائق على ما هي عليه بقدر الاستطاعة، وبالتالي فأمثلاهم لا يمكن أن يستهان بها في تفسير الأحلام.

ولا يخفى علينا ضرورة إطلاعه على أمثال الرسول (ص) في التأويل كقوله "خمس فواسق وذكر الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور" (ابن سيرين، 1990، ص. 13)، وقوله في النساء "إياك والقوارير" (ابن سيرين، 1990، ص. 13).

وعلى المعبّر أن لا يكون في غفلة عما قاله الأنبياء من أمثال مبتذلة كقول "إبراهيم" (عليه السلام) لابنه "إسماعيل "غير أسكفة الباب" (ابن سيرين، 1990، ص. 13).

ولا يتوقف "ابن سيرين" في ذكره لشروط المعبر عند هذا الحد أو عند هذه الشروط بل يتجاوزها ليعرج على المعرفة بالشعر وأوزانه والقدرة على اعتبار معانيه، أي أن يفهمه بوصفه من الأدوات المساعدة على تفسير الحلم. بالإضافة إلى القدرة على الإلمام والاضطلاع باشتقاق اللغة، أي اشتقاق الأفعال والأسماء والمسميات ومعاني هذه الأسماء والمسميات ومثال على ذلك "الكفر أصله التغطية،... المغفرة أصلها الستر،... والظلم وضع الشيء غير موضعه، والفسق الخروج والبروز..." (ابن سيرين، 1990، ص. 13).

ولم يغفل "ابن سيرين" عن المعبر شرط الذكاء والفطنة والحكمة والذكاء والتقوى... والفطنة والذكاء بالمعنى الأرسطي اتخاذ أوسط الأمور أي لا إفراط ولا تفريط والنجاح في إصابة الاختيار يعدّ "حكمة" وذكاء وفطنة أو "روية" والروّية من روأ وروّأ "روّيت في الأمر نظرت وفكرت والاسم الروّية من روأ وروّأ في الأمر تروئه وترويئا نظر فيه وتأمّل وتفكّر وتعقبه ولم يعجل بجواب" (بطرس البستاني، 1987، ص. ص. 356 – 356) بمعنى التريث في أخذ القرار وتقدير عواقبه. وكان "الفارابي" سماه تعقلا وهو المرادف الذي

اختاره في بعض كتاباته للمصطلح "Phronesis" الذي ترجمه اللاتينيون بلفظ "Prudentia" ومنها جاءت "Prudence".

ويعني "ابن سيرين" بالحكمة والفطنة والذكاء التثبت في ما يرد عليه من أحلام وعدم التعسف على الحلم وما لا يستطيع تفسيره أن يمسك عنه، وهو ما تعود عليه فعلا (ابن سيرين، 1990) حتى أنه ما كان "يمسك عنه أكثر مما يفسره" (ص. 13). بمعنى ما لا يمكن تعبيره يجب إسكاته أو السكوت عنه.
أما الفطنة ضرورية بالنسبة للمعبر فعندما توجد رؤيا تحمل معنيين ضد بعضهما فعليه أن يرجح أحدهما ويدرك أيهما الأولى.
أما التقوى فهي الورع أي قوة الإيمان من جهة والفقه في الدين بالاعتبار والفهم من جهة أخرى لاعتماد نصوصه وأمثاله وحكمه في تعبير الحلم.
وعلى العابر أن يكون عارفا بأحوال الناس وشمائلهم وأقدارهم وهيئاتهم أي معرفة طرق عيشهم وعاداتهم ومقتضيات البيئة والعصر والظروف المحيطة بهم، أي بلغة أوضح أن يكون المعبر عارفا بالرائي أكثر من نفسه (نفس الرائي) لأن ذلك يدخل في إمكانية القدرة على تأويل الحلم.
هذا بالإضافة إلى معرفة المنامات الخاصة من العامة فأما الخاصة فهي التي تخص الرائي نفسه وأما العامة فهي التي تخص غيره وهي التي تتحدث عن شؤون محلية أو عالمية أو الأهل بلغتنا نحن.

3.2.الأحلام القابلة للتعبير والأحلام الباطلة.

أ. الأحلام القابلة للتعبير (الصادقة).

يميز "ابن سيرين" بين ضربين من الأحلام فمنها الصادق ومنها الباطل. فأما الصادق منها فهو ينقسم بدوره إلى قسمين قسم مفسر أي واضح لا يحتاج إلى تفسير، قسم مكنى تودع فيه الحكمة والأنباء في جواهر مرئياته.
وتكون الرؤيا أصدق كلما كان الرائي معتدل الطباع، وهواه على استقامة وضرورة أن يكون سائرا على آداب الصدق في أقواله. وأن يتبع آداب نوم معينة وهي النوم على الطهارة، وأن ينام على جنبه الأيمن وأن، يستعيض بالله من الشيطان...أي الإقتداء بسنة الرسول (ص)، وفي إقتدائه بالرسول فإنه اقتراب من الله وكلما اقترب الإنسان من الله كان كل ما يحلم ه صادق وذلك من منظور إيماني.
كما يرتبط اختلاف أو تباين درجة صدق الحلم بإخلاف حالة النائم درجة إيمانه.
وكلما كانت الرؤيا في النهار كانت أقرب إلى الصدق والحقيقة، وذلك مرتبط عند "ابن سيرين" وغيره من المسلمين بنزول الوحي على الرسول ص) في النهار. وتغير معنى الرؤيا بتغير هيئات الناس وصناعاتهم وأقدارهم أي حسب مقتضيات البيئة والعصر والظروف المحيطة بالرائي ومجتمعه أي تختلف

الحقيقة لتي يرمز إليها الحلم باختلاف المكان الذي يعيش فيه الرائي مثلا الريف أو المدينة وكذلك الزمن أي الليل أو النهار والمنزلة الاجتماعية أسلطان أو فلاح...

ب.الأحلام الباطلة أو أضغاث أحلام.

الحلم الباطل أو ما يسمى أضغاث أحلام والضغث هو الخلط والالتباس والتشويش منها ما يكون من حديث النفس، أو ما يشغل به المرء في اليقظة، فيراه في النوم من خوف وعدو أو لقاء حبيب أو خلاص من خوف أو نحو ذلك...والجائع يحلم بوجبة طعام شهية وهذا ما يسمى رغبات مقبولة اجتماعيا ولكنها غير مشبعة.

وهنا يصبح الحلم بمثابة الشريط الدقيق لما يواجه الحالم من مشاكل.

ويمكن القول أن الأحلام حسب "ابن سيرين" لها مصادر ثلاث فهي عن الإله وهنا تكون صادقة، ومن الشيطان وحديث النفس وهنا تكون باطلة وقد استند (ابن سيرين،1990) في ذلك إلى قول الرسول (ص): "الرؤيا ثلاثة فرؤيا بشرى من الله تعالى ورؤيا من الشيطان ورؤيا يحدث بها الإنسان نفسه فيراها" (ص. 15).

ومجمل القول فإن المعبر عليه أن يكون عارفا بجملة من الأمور والتي بمقتضاها يكون مكتسبا للقدرة الكافية على تفسير الأحلام وهذه الأمور هي من المكتسبات وليست فطرية في المعبر. وهذه الصفات التي وجب أن يكون عليها المعبر تعد الخيط الهادي للتساؤل عن الرؤيا أو الحلم الذي سيعبره أو يؤوله المعبر بوصفه رؤيا قابلة للتعبير.

2. المناهج النظرية لتفسير الأحلام والفراسة.

1.2: المناهج النظرية لتفسير الأحلام

أ.المنهج الميتاسيكولوجي:

ينقسم هذا المنهج إلى فرعين وهما المنهج الرمزي والمنهج الشعبي:

المنهج الرمزي: هو المنهج الذي ينظر فيه المعبر للحلم في مجموعة ويعمل على أن يستبدله بمحتوى آخر معقول ومماثل للمحتوى الأول من بعض الوجوه، ذلك هو التفسير الرمزي. وهو منهج لا يلبث أن يتضح بالضرورة عجزه حين يواجه أحلاما تتسم بالتشويش. هذا المنهج أحالنا عليه المؤلف من خلال ما جاء في سورة يوسف عليه السلام وتفسيره رؤيا الملك الذي رأى سبع بقرات سمان تأكلها سبع عجاف... كان ذلك بديل رمزيا لنبؤة تنبئ بسبع سنين من المجاعة في أرض مصر تأكل فائض السنوات السبع الوافرة، وهذا الحلم إذن تم تفسيره وفق المنهج الرمزي المستقبلي وأشار إلى ذلك محقق الكتاب (عبد الحق مهنا، 1990) في مقدمته قائلا: أولهما (يقصد المنهج الرمزي) ينظر إلى محتوى الحلم في مجموعه ويسعى إلى أن يستبدل به محتوى آخر معقولا" (ص. 17). ويرى العلماء أن هذا المنهج مرتبط بالفراسة والذكاء الحاد والفطنة والمهارة العقلية.

المنهج الشعبي: المنهج الشعبي هو منهج بعيد تمام البعد عن المنهج الرمزي وبوسعنا أن نسميه منهج الشفرة، باعتباره يعالج الحلم كما لو كان ضربا من كتابة سرية تمكن من ترجمة كل علامة من علاماتها إلى علامة أخرى معروفة المعنى وفق مفتاح ثابت وهو ما يسمى عد "ابن سيرين" التأويل بالضد والمقلوب مثال على ذلك أن أحلم بفرح أو حزن فأفتح كتاب الأحلام فأجد الفرح حزنا والحزن فرحا وهو ما يشير إليه (ابن سيرين، 1990) عندما يقول: "في البكاء فرح وفي الضحك أنه حزن" (ص. 16). ويبقى على المعبر بعد ذلك أن ينشئ جملة مفيدة وينقلها من جديد إلى المستقبل.

لا ينظر هذا المنهج إلى محتوى الحلم وحده بل يدخل في تقديره طبع الحالم وملابسات حياته، وبالتالي وجب أن تفسر الرؤيا بحسب طبقات الناس أي لا تفسر رؤيا سلطان أو وزير بنفس التفسير الذي تفسر به رؤيا الأفراد العاديين.

ب: المنهج التعليلي:

يسمى هذا المنهج لدى "ابن سيرين" الرؤيا المنبئة عن حقائق الأعمال ويعني بذلك أن الأحلام والمنامات تحدث لعلة أو لسبب ولها غاية ونتيجة وينقسم هذا المنهج إلى منهجين أو قسمين.

التعليل الإحيائي: بمعنى أن يكون الحلم دافعا إلى عمل ما أو دفعا للتراجع عن فعل ما وهو ما يسميه "ابن سيرين" بالآمرات والزاجرات والمبشرات والمنذرات.

فإذا كان الحلم يحمل أمرا يعني ذلك أمر بفعل كذا أو كذا وإذا كان زجرا فهو نهي عن عادة يقوم بها الحالم أو فعل يمارسه وخاصة الفاحشة منه وكذا المنذرات أو المبشرات فهي تبشرك بأمر ما أو على الأصح بخير إذا فعلت فعلا ما فيدفعك ذلك التبشير إلى الاجتهاد للقيام بذلك الفعل في اليقظة.

ت.التعليل الاستنباطي

اعتمد "ابن سيرين" في هذه الطريقة على ما ورد في الكتاب والسنة والشعر... من معاني وأمثال ورجز فمثلا "البيض المكنون يقصد بها النساء، والحجارة القسوة" (ابن سيرين، 1990، ص. 13). والاعتماد على الكتاب والسنة والشعر قد جعل "ابن سيرين" يؤكد على اعتبار معنى القرآن ومعنى الشعر وأمثال الأنبياء.

ث.التأويل بالأسماء

يبدو أن التعبير بالأسماء يقوم على الأخذ بظاهر اللفظ ولا يستحق القلب أي عكس ذلك الاسم ذلك بناء على ما قاله الرسول (ص) "رأيت الليلة كأنا في دار عقبة بن رافع، فأتينا برطب ابن طاب، فأولت عن الرفعة لنا في الدنيا والآخرة وأن ديننا قد طاب" (ابن سيرين، 1990، ص. 16)، وبالتالي فمن رافع أخذت الرفعة وطيب الدين من رطب ابن طاب، وبناء على ذلك فرجل يسمى راشد يتأول إرشادا أو رشدا، واسم نور يدل على النور وحبيب على الحب والصادق على الصدق وحسن على الحسن وجمال على الجمال...

ج.تعبير الرؤيا بالمثل السائر

تعبير الرؤيا بالمثل السائر أي تفسير حلم ما بناء على معرفة الأمثال السائرة فطول اليد يقصد بها العطاء الكثير والصائغ يقصد به الكاذب والجراد يقصد به الغوغاء، والمطر يقصد به الحياة، والضباب أو الغبار يحيل على عدم اتضاح الرؤيا، ويحيل الثلج أو الحليب أو الصوف على صفاء القلوب ويشير الجبل إلى العلو والشموخ والكرسي للعرش والماء الخصب، والمرأة الحياة والجمل أو الحمار الصبر والثعلب المكر والكلب الألفة والذئب الغدر والبحر الحرية والميزان العدالة والنور نبوة أو رجل صالح والأفعى آفة والخيط اتصال والطريق بعد والقصير قرب والشوك ذنوب أو مشاكل... والورد فرح أو ود والنقود ثراء والغول خوف والليل ظلم أو هم وغم والنهار انزياح هم وانفراج كرب والريح الطيب صدق والريح الكريه كذب والبرد أو الثلج ارتياح والحرارة قلق وضجر والنوم مرض والاستيقاظ صحة والوادي قاطع طريق أو خطر في طريق والقنطرة مساعدة على تجاوز صعوبة.

ح.تعبير الحلم بالزيادة والنقصان

يقابل البكاء الفرح وإذا كان بكاء مصحوب برنة والرنة هي الصوت، بالتالي فهناك زيادة فيكون ذلك مصيبة، وأما الضحك فيقابله الحزن وإذا كان الضحك ابتسامة فهناك نقصان فيكون حينها صالحا أي غير مضر بل فيه خير وبشرى لصاحبه، والوادي قاطع طريق وإذا كان فيه ماء فهو قاطع طريق خطير يصاحبه اعتداء والفرس الأبيض الموت وإذا كان يجري بسرعة فهو موت قريب وإذا كان يمشي ببطء فهو موت بعيد إما زمانيا أو مكانيا وإذا كان متجها إليك فالموت سيصيبك أو أحد أقربائك وإذا كان خلاف ذلك فهو سيصيب أحد ليس بقريبك، والمطر القليل خصب قليل والمطر الكثير خصب كثير، والظلام الحالك خطر كبير والظلام الخفيف خطر قليل والبرد الشديد راحة دائمة والبرد القليل راحة متقطعة.

خ.تأويل الحلم بناء على رؤيا الأنبياء

سعى "ابن سيرين" من خلال سرده لمختلف رؤيا الأنبياء (من رؤيا آدم عليه السلام مرورا برؤيا إبراهيم عليه السلام ورؤيا يوسف عليه السلام، ورؤيا يعقوب عليه السلام، ورؤيا موسى عليه السلام، إلى رؤيا محمد عليه الصلاة والسلام) إلى بيان أنه بإمكاننا قياسا على تعبير هذه الأحلام تفسير أحلامنا والكشف على مجمل الحقائق التي تحملها في خفاياها. لكن هناك سؤال يطرح هل يمكن أن نماثل بين حلم الأنبياء وحلم الناس العاديين في التفسير؟

يمكننا الإقرار بناء على ما صلنا إليه أن هذه هي أهم المناهج أو القواعد التي رسمها "ابن سيرين" في مقدمتي الكتاب. إلا أنه يخامرنا سؤال عن مدى التزام "ابن سيرين" بإتباع هذه المناهج في متن الكتاب أي أثناء تفسيره للأحلام. ودون المرور إلى متن الكتاب وتمعننا في المقدمتين وتفحصهما نلاحظ عدم

التزام "ابن سيرين" بالمناهج التي رسمها، بل يعتمد ما يسمى بالحدس التأويلي أو ما يسمى بالفراسة عند العرب.

2.2.الفراسة وتعبير الأحلام عند ابن سيرين

أ.مفهوم الفراسة

تعني الفراسة نفاذ البصيرة وشدة المراس وقوة الحكم والفطنة. ونقول "تفرست فيه خيرا" (قصي، الحسين، 2004، ص. 334). وقد قال العرب "تفرس في الشيء توسمه" (قصي، الحسين، 2004، ص. 334). ويقال لفظ الفراسة عند "ابن الأثير" بمعنيين "يقال بمعنيين أحدهما ما دلّ ظاهر الحديث عليه، وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس والثاني يعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق فتعرف به أحوال الناس" (قصي، الحسين، 2004، ص. 334-335).

وتؤدي هذه المهارة إلى معرفة بواطن الأمور من ظواهرها "نتعرف منه (...) على الإنسان من هيئته ومزاجه وتوابع ذلك من طرائق الكلام والمشي والتفكير (...)، وحاصلة الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن..." (حفنى، عبد المنعم، 2000، ص. 557).

وبالتالي فهذه المهارة أي الفراسة تساعد على معرفة طباع الناس أي الحالمين وعاداتهم وشمائلهم وأقدارهم وبمعرفة ما يتصل بهم من هذه الطباع وطرق العيش يكون المعبر قادرا على مواصلة الكشف على الحقيقة التي يحملها حلم ما.

ب.الفراسة وتعبير الأحلام عند ابن سيرين

ليست القدرة على تفسير الأحلام خاصية كل الناس أو هي في متناول الناس، بل هي خاصية بعض الأفراد باعتبارها مهمة لا يمكن لأي إنسان عادي أن يسيطر عليها، لذلك ليس لأي أحد عادي أن يزعم أنه قادر على ممارسة هذه المهمة ولأنها مهمة أوسع من أن يقوم بها إنسان عادي.

ومهمة المعبر تكمن في كسر المسافة الفاصلة بينه وبين الحقيقة التي يعبر عنها الحلم.

وهذه المسافة الفاصلة هي الذات الحالمة ويكون كسرها نوعا من الانتماء إليها أي الانتماء إلى عالم الرائي وهذا الانتماء لا يكون إلا بمعرفة "حالات الناس وشمائلهم وأقدارهم وهيئاتهم..." (ابن سيرين، 1990، ص. 15)، وتكون معرفة حالات الناس وشمائلهم وأقدارهم وهيئاتهم بمعاشرتهم والعيش معهم ومخالطتهم والتمرس على طرق عيشهم وطرق كسب أرزاقهم وصناعتهم... أو عن طريق ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس" (حفنى، عبد المنعم، 2000، ص. 557)، وبالتالي فتأويل الحلم يكون بالانطلاق من فهم الذات أي ذات الرائي ثم الانتقال إلى الكشف عن حقيقة الحلم، وهذا التمشي الذي ينتهجه المعبر قصد تعبير الحلم

هو تمش غير منهجي ولا قواعدي بل هو حدسي بالأساس يعبر ن إخلاص الذات أو استقلالها عن كل ما هو منهج أو قاعدة للوصول إلى حقيقة الحلم وهو ما يدل على ارتباط تعبير الحلم بالفراسة لدى "ابن سيرين". هذه المهارة التي بمقدورها أن تكشف لنا على الحقيقة التي يحملها الحلم، ذلك ما جعل (أنا ماري شيمل، 2005) تشبه تفسير الأحلام بأنه "وصفا لرحلة سائح في بلد غريب يكشف عن عادات عصر من العصور أو بلد من البلدان كشفا قد يكون أوضح مما يأتي في كتابات أصحاب البلد أنفسهم" (ص. 74).

3.2.مبررات رسم ابن سيرين للمناهج واعتماده الفراسة في تفسير الأحلام.

يبدو أن عدم الإقرار باعتماد "ابن سيرين" على الفراسة في تعبير الحلم هو إقرار غير وجيه ومتسرع، ومكتف بظاهر النص دون باطنه، فالنص رغم بساطته حسب رأينا فهو يحمل بداخله معاني لا يمكن أن يتوصل إليها قارئ عابر على ظاهر الكلمات، بل تتوصل إليها قراءة حاذقة ومدققة تتولى الحفر في معاني الألفاظ ودلالاتها، لإمكانية الإقرار بهذه الثنائية أي رسم المناهج دون الالتزام بهذه المناهج واعتمادها بل الاعتماد على الفراسة في تفسير الأحلام. ذلك ما يجعلنا نتساءل بأي معنى يمكن أن يكون هذا الإقرار وجيها.

أو ما حاجة "ابن سيرين" إلى رسم المناهج في مقدمتي كتابه إذا كان يفسر الأحلام بالاعتماد على الفراسة؟

ما يمكن قوله هو أن المناهج التي رسمها "ابن سيرين" في مقدمتي كتابه ما هي إلا مناهج رسمها رجل يقف في أعلى درجات السلم "من حباهم الله بقدرات عالية بينما يتوزع غيرهم بنسب متفاوتة" (جوزيف، كامبل، 2001، ص. 135). وبالتالي فهذه المناهج تمثل جانبا من العملية التعليمية حيث تهدف إلى تدريب المتعلم على كيفية استنباط المعاني والإلمام بالمؤشرات المتنوعة والقدرة على فهم موضوع الحلم والتقرب أكثر ما يمكن من الحقيقة التي يشير إليها الحلم. وكذلك ضرورة التدرب بقدر طاقته على تفسير المعنى والإلمام بالرموز والإشارات التي يراها النائم في حلمه، فهي كلها تعتمد على قواعد وأسس تتطلب الخبرة اللغوية لفهم الألفاظ والخبرة العقلية "لفهم الرموز والارتباطات والمعاني الحسية والمجردة" (جوزيف، كامبل، 2001، ص. 135). وهنا يظهر لنا "ابن سيرين" في صورة صاحب مهنة يديرها كما يشاء ويعلمها لغيره من الهواة الطامحين لتملك هذه الصناعة، قصد جعلهم مالكين لطرق تفسير الأحلام على كثرتها واختلافاتها "كي يصل المفسر إلى تفسير يناسب الرؤيا المطروحة أمامه، فلابد وأن يكون خبيرا بطرق تفسير الرؤيا على كثرتها واختلافها، ناهيك بأن يكون قوي البديهة" (أنا ماري شيمل، 2005، ص. 74). وعلى هذا الأساس يتوضح لنا أن "ابن سيرين" لم يكن متضاربا في موقفه بل كان على وعي بما يكتب. فهو واع بأنه ممن أوقع الله في قلوبهم قدرة معرفة أحوال الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس. وبالتالي القدرة على تعبير الحلم بالاعتماد على هذه

الكرامات في حين أنه يرى في المقابل أن مهمة تفسير الحلم هي مهمة قابلة بأن تعلّم وذلك بالدلائل والتجارب. وبناء على ذلك نعتقد أنه قد صار بوسعنا الآن أن نلاحظ أن المناهج التي رسمها "ابن سيرين" تؤدي إلى ثمرة القدرة على تفسير الحلم، وأن إتباع هذه المناهج يعين المتدرب على بلوغ مرتبة المعبرين الذين يقدرون على إدارة تفسير الحلم، ويتم ذلك من خلال الالتزام بهذه المناهج وتطبيقها فيرتقي الباطن الإنساني مرحلة بمرحلة إلى نيل هذا الكمال المتمثل في القدرة على تفسير الحلم دون الاعتماد على المناهج.

فالباطن الإنساني مستعد لأن يتجلى فيه هذا الكمال ومن هنا وجب على السالك الذي يسعى إلى الفوز بهذه المرتبة أي القدرة على تفسير الحلم بالاعتماد على الفراسة أن يتبع هذه المناهج أولا، فهو يحتاج إلى الالتزام والإخلاص لها لينتقل إلى الكمال أو يقترب منه.

ويبدو أن "ابن سيرين نحا المنحى الذي سلكه "أرطاميدورس الأفسسي" حيث يرى هذا الأخير أن المناهج والقواعد التي رسمها في كتابه المشهور "كتاب تعبير الرؤيا" قابلة للتعليم لمن يريد أن يتعلمها أو لجميع الناس وذلك بقوله (الأفسسي، أرطاميدورس، 1964) قاصدا المناهج والمقالات الخاصة بتفسير الأحلام "علمتها كيف أمكن أن يكون التعليم فيها.... وكي تكون تلك المقالات هينة التعليم لجميع الناس" (ص. ص. 432- 433).

خاتمة

تعد الأحلام مادة يلتمس فيها الإنسان الأمل والاطمئنان وغير ذلك... ويعتبرها بمثابة الآيات والدلائل التي من الضروري إعطائها أهمية، ويوكل أمر تأويلها إلى العارفين والمؤهلين والمخلصين، وأن دلالتها تتضح بالعودة إلى صاحب الحلم نفسه وذلك بالكشف عن حاله أغني هو أم فقير أسلطان أم خادم. ولعل لجوء الرائي أو الحالم إلى المعبر يدل على معرفة المعبر للحالم أكثر من نفسه (أي نفس الحالم)، ومعرفة الحقيقة التي يعبر عنها الحلم أكثر مما يعرفه الحالم. ولكن علينا أن لا ننسى المزاوجة التي أشرنا إليها آنفا وهي رسم المناهج من جهة واستعمال الفراسة في تعبير الحلم. وهذه المقابلة لا تعبر عن تناقض "ابن سيرين" في كتابه، وإنما تدل على أن المناهج التي رسمها هي مناهج للمتعلمين أو المبتدئين في حين أن تفسير الأحلام بالاعتماد على الفراسة يبقى خاصا بأفراد معينين دون سواهم بفضل موهبة إلهية أو بحكم التجربة والتمرن.

لقد عرف تفسير الأحلام نفسا جديدا مع "فرويد" حيث فطن هذا الأخير إلى الدوافع الأساسية وراء الحلم التي هي بالأساس تحقيق الرغبات وذلك من خلال تحليل أحلام بعض مرضاه. والنقطة الهامة الأخرى أن 'فرويد" توصل إلى تحليل النفس تحليلا منهجيا من خلال تحليل الحلم. وهو ما سنتناوله في قادم أعمالنا إن أمكننا ذلك.

_ قائمة المراجع:

- ابن سيرين، محمد، 1990، تفسير الأحلام، لبنان، بيروت، دار الفكر اللبناني.
- الأفسسي، أرطاميدورس، 1964، كتاب تعبير الرؤيا، ترجمة حنين ابن إسحاق تقديم توفيق فهد، دمشق، سوريا، المركز الوطني للبحث العلمي.
- جوزيف، كامبل، 2001، الأساطير والأحلام والدين، سوريان دمشق، دار الكلمة.
- حفني، عبد المنعم، 2000، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مصر، القاهرة، مكتبة مدبولة.
- شيمل، أنا ماري، 2005، أحلام الخليفة، ترجمة جمال بدر حسام، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا.
- قصي، الحسين، 2004، موسوعة الحضارة العربية، لبنان، بيروت، دار ومكتبة الهلال ودار البحار.
- بطرس البستاني، المعلم، 1987، محيط المحيط، لبنان، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون.